التاريخ بوصفه أداة لتعزيز الهوية الوطنية (قراءة في رسائل فضل الأندلس)

أ.م.د عامر ممدوح خيرو

الجامعة العراقية / كلية الآداب / قسم التاريخ

History as a tool for promoting national identity, Reading in the letters of the virtue of Andalusia

Assistant Prof. Dr. Amer Mamdouh

Iraqi University / College of Arts / Department of History

الملخص

يدور هذا البحث حول توظيف التاريخ في تعزيز الهوية الوطنية، ذلك إن دراسة التاريخ تهدف في وجه من أوجهها إلى تحسين واقع (الأمم) و(الدول) وتعزيز (الهوية الوطنية) بكل ما تحمله هذه المفردة (العنوان) من فهم شمولي ينطوي على معاني (الانتماء والفخر والولاء والبذل والتضحية والاعتزاز)، وهو ما سنبينه في المحور الاول من هذا البحث.

وعلى الجانب الآخر، لمسنا حالة تطبيقية يمكن أن تكون انموذجاً طيباً لهذه المعاني المتقدمة أعلاه ، فإن الرسائل المتعددة التي ضمتها كتب التاريخ الأندلسي، والتي حملت عنوان (رسالة في فضل الأندلس) يمكن اعتبارها شكلاً من أشكال الكتابة التاريخية التي تنمي المعاني التي تحدثنا عنها، وسنحاول ان نستجلي المضامين المتعلقة به من خلال المحورين الآتيين:

أولاً: حول التاريخ والهوية

ثانياً: الفضائل وتعزيز الهوية الأندلسية

Abstract

This research revolves around the use of history in the promotion of the national identity, as the study of history aims in one of its facets to improve the reality of (nations) and (countries) and to promote (national identity) with all what this singular (title) holds from a comprehensive understanding that includes meanings (Affiliation, pride, loyalty, giving, sacrifice and pride), which we will show in the first axis of this research.

On the other hand, we touched an application case that could be a good example of these advanced meanings above. The multiple messages included in Andalusian history books, which bore the title (a message in the virtue of Andalusia) can be considered a form of historical writing that develops the meanings we talked about, and we will try To explore the contents related to it through the following two axes:

First: on history and identity

Second: The virtues and the promotion of Andalusian identity

المقدمة

تحقق العودة إلى دراسة التاريخ فوائد مختلفة، وتتعدى هذه الفوائد المستوى الشخصي لتتعلق في احيان كثيرة بتحسين واقع (الأمم) و(الدول) وتأسيس مشروع نهضتها، ضمن المنحنى الأعلى لمستويات الارتباط بالتاريخ.

ولعل واحدة من فوائد دراسة التاريخ التي تنبه لها الدارسون، تعزيز (الهوية) بكل ما تحمله هذه المفردة (العنوان) من فهم شمولي ينطوي على معاني (الانتماء والفخر والولاء والبذل والتضحية والاعتزاز)، ومن انعكاسات ايجابية على حاضر البلدان وبناء مستقبلها.

إن التاريخ بوصفه أداة لتعزيز هذه الهوية الوطنية يؤسس لحالة من ترسيخ الانتماء للأرض، وتقوية الارتباط بها، والفخر بمضمونها على كافة الأصعدة، وذلك من خلال توفير عوامل تحقيق ذلك، عبر مواطن مشرقة من سجلات ماضيها، ومحطات فاصلة في الزمن الفائت، مما يمكن أن يجمع ولا يفرق، ويقرّب ولا يبعد، ودونما وقوع في فخ التعصب أو اغفال دروس الماضي ونكباته.

وهكذا يغدو علم التاريخ شرطاً من شروط النهضة ... هذا من جانب .

أما **الجانب الآخر** ، فنحن قد لمسنا حالة تطبيقية يمكن أن تكون انموذجاً طيباً لهذه المعاني المتقدمة أعلاه ، فإن الرسائل المتعددة التي ضمتها كتب التاريخ الأندلسي ، والتي حملت عنوان **(رسائل في فضل الأندلس)** ونسبت لثلاثة من كبار علماء الأندلس، يمكن اعتبارها شكلاً من أشكال الكتابة التاريخية التي تنمّي المعاني التي تحدثنا عنها.

إن النص المهم الذي كتبه ابن حزم الأندلسي (ت 456 هـ / 1063 م)، والاضافات التي دونها كلاً من إسماعيل بن محمد الشقندي (ت 629 هـ / 1232 م) ، وتذييل ابن سعيد (ت 685 هـ/ 1286م)، من بعده، بات وثيقة تاريخية واحصائية رائعة ، وذلك من خلال ايراد الشواهد المتميزة لعلماء الأندلس، وسرد صوراً من الابداع والانجاز الأندلسي في شتى المجالات، فساهموا في نهاية المطاف في منح الهوية الأندلسية الثقافية التي كانت تسير في وتيرة التصاعد منذ القرن 4 هـ، دفعات متزايدة، ترسيخاً وبناءً.

وفي هذه الصفحات نحاول أن نحقق مقاربة أولية بين الجانبين، نسلط الضوء اولاً على مسارات الارتباط بين التاريخ والهوية، ومن ثم استجلاء الأشكال التطبيقية التي عمد إلى إيرادها مؤلفو رسائل فضائل الأندلس وأهلها

أولاً: حول التاريخ والهوية

ظل النقاش والحديث يدور وقتاً طويلاً عن سبب لجوء الإنسان إلى التاريخ..

ولو أردنا ان نحصي الدراسات التي تناولت هذا الجانب، لوجدنا العشرات من النتاجات القيمة التي حاولت ان تستجلي كنه هذا النزوع نحو التاريخ، ابتداءً بالاهتمام (الفطري) لدراسة الماضي.. يوم كان التاريخ يعني الماضي فقط، وسؤال التاريخ عن مفاتيح تحسين الحاضر والاستعداد والاحتياط للمستقبل، يوم تحول التاريخ إلى فرع معرفي يمنك مفاتيح التعامل مع المستقبل.

وبين هذين الحدين من تطور الاحتياج إلى التاريخ، ثمة تفصيل كثير يمكن تبيانه:

فإذا اتفقنا ابتداءً أن التاريخ (وعي) بقيمة الأحداث الماضية، دون تقييده بمكانه بين العلوم والمعارف، ومع ادراك تباين ذلك الوعي في مستوياته، أمكننا القول ان ذلك الاحتياج ولد مع ولادة هذا الإنسان، وهذه الاحتياج الفطري، هو يماثل . ودون مبالغة . حاجة الإنسان إلى الماء والغذاء والأمن، واستشعاره أهميته، وحاجته إليه، لملء الذاكرة بما يمر عليها من أحداث وصور، مثلما إن الانتماء إليه، على مختلف مستوياته وأشكاله، لا يبعد كثيراً عن استشعار الفرد الانتماء للأرض، والقوم، والفئة ، والدولة ، والوطن، والأمة.. الخ.

وهذا الترابط بين (الوعي بالتاريخ) و(الانتماء للوطن) هو مقصدنا في هذا الكلام.

ان الهوية الوطنية للفرد والشعب في واحدة من أشكالها، وكما سنرى، احساس بالانتماء للأرض ووعي بمكانتها والعلائق المشتركة بين أبنائها، وكذلك التاريخ، وإذا كانت الهوية بناء شاهق، وتركيب متعدد الأوجه والفئات، فإن التاريخ ركن أساسي فيه، فلا يمكن لهوية ما أن تتكامل دون تاريخها، فهي ستكون حينها هوية فاقدة ذاكرتها، وأي شيء أكثر من الذاكرة يعزز ارتباطها بمن يحملها، وهل هناك أشد وأكثر من التاريخ يستحق ان يكون شاهداً على وجودها؟!

" ان تحديد هوية مجتمع، او جماعة، او فرد، يقتضي العودة إلى جملة من العناصر، التي يمكن تصنيفها في المجموعات التالية ... منها عناصر تاريخية وتتضمن :

1. **الأصول التاريخية:** الأسلاف، الولادة، الاسم، المبدعون، الاتحاد، القرابة، الخرافات الخاصة بالتكوين، الأبطال الأوائل.
2. **الأحداث التاريخية الهامة:** المراحل الهامة في التطور، التحولات الأساسية، الآثار الفارقة، التربية والتنشئة الاجتماعية.
3. **الآثار التاريخية:** العقائد والعادات والتقاليد، والعقد الناشئة عن عملية التطبيع أو القوانين والمعايير التي وجدت في المرحلة الماضية" [1]

إن سؤال الهوية والتاريخ، يظهر مدى الترابط بين الجانبين، وإن سؤال التاريخ ذاته يفضي إلى تعزيز معاني الهوية، وذلك عبر ترسيخ المعاني المذكورة في أعلاه، " إذ تجذر هوية الجماعة في تاريخها، ويبرز تاريخ الجماعة وآصاره في صيغ مكتوبة، كما يتجلى في تقاليد الجماعة، وأساطيرها وحكاياتها، وينطوي ذلك التاريخ أيضاً على الأحداث الفردية والجمعية، وعلى صورة أبطالها التاريخيين، كما يشتمل على صورة الحياة السياسية للجماعة وآثارها، وعلى تقييم لأهمية تاريخ الجماعة الجمعي وأثره على تنظيم الوسط الحيوي، والبنية الديمغرافية والنشاطات الراهنة، والبنية الاجتماعية، وأخيراً الآراء، الاتجاهات، المعايير السلوكية، وموروثات الماضي"[2] .

"ان التاريخ هو (الشاهد) الوحيد على احداث الماضي والحاضر، وما يمكن ان يسفر عن المستقبل، انه (نحن) بكل ما اناخت القرون في شرايينا، وبكل ما رسبت الأحداث في واقعنا، أليس من الغبن أن يظل هذا الشاهد مغمور العيون والجذور في تراب الأرض والإهمال؟" [3] ، ولا بد أن نذّكر هنا إن سوء استخدام التاريخ لا يلغي أهمية دوره المهم الذي نتكلم عنه هنا، فهل تقع مسؤولية هذه النظرة على عاتق التاريخ؟ أم على عاتق من يسيء استعماله ويحاول جهده لجعله مادة مطوعاة لتحقيق مآربه وإثارة الفتن ونوازع الشر الكامنة في البشر؟ ولتعظيم شان الطغاة وأجدادهم لتبرير بقاءهم في السلطة إلى الأبد" [4]

وعلى الرغم من تلك الأهمية، وذلك الارتباط، فإن هذا الفهم لم يتبلور بشكل واضح ومحدد في الدراسات التي تناولت التاريخ وحركته ومناهج دراسته، وان جاءت على جزئيات متناثرة من الممكن أن تشكل لو جمعت تصوراً متكاملاً.

ان ارتباط التاريخ بالهوية يأتي ضمن ارتباط هذا الفرع المعرفي المهم بالمجتمع[5]، واللجوء المتكرر إلى التاريخ من قبل المجموعات البشرية، والذي لا يأتي بحثاً عن الوسائل، أي الطرائق والتقنيات المرتبطة بعصرها، وإنما هو بالأساس بحث عن القيم والأهداف[6]

" ان دراسة علم التاريخ تفيد في أنها تسد حاجة غريزية إنسانية أساسية تفي بحاجة أصيلة من حاجات البشر الذين يعيشون في المجتمع، وضرورة التاريخ تقوم على أنه يقوم للإنسان والجماعة البشرية بوظيفة فعلية، بمعني أنه يسد حاجة المجتمع إلى معرفة نفسه ورغبته في أن يفهم علاقته بالماضي وعلاقته بالمجتمعات الأخرى وثقافتها" [7]، "وحيث ان التاريخ يهتم بمشكلات المجتمع المعاصر والأحداث التي تقع في الزمن الحاضر مع البحث عن جذورها في الماضي، فإن دراسة التاريخ تيسر للمواطن التحرك والاحساس الاجتماعي، ويجب الالتفات إلى ان تنمية الروح الوطنية لا تعني التغني بأمجاد الماضي والزهو بتراث السلف الصالح (اناقشها) ولكنها تعني الايجابية والمشاركة والفعل والانفعال والتأثير والتأثر والتي تقوم على أساس الولاء للوطن والاخلاص لأهدافه" [8]

ان المكان المميز الذي يأخذه التاريخ في ذاكرة الأفراد والشعوب على حدٍ سواء، يجعل منه عاملاً مهماً وأساسياً في تركيبة هويته ومن ثم تقويتها، وذلك من خلال الترابط بالمضمون،" إن التجارب المشتركة تأخذ قيمتها الخاصة وتصبح مصدراً لذكريات الجماعة الجميلة الخاصة بالماضي المشترك، والذي يصبح منطلقاً جديداً للبحث عن تجارب جديدة أخرى مشتركة أيضاً...ان هذه التجارب المشتركة تؤدي إلى وحدة الذاكرة الجمعية ووحدة الماضي الجمعي وتعزز بالتالي الوحدة العاطفية للجماعة" [9]

ان ارتباط التاريخ بتعزيز الهوية الوطنية يأتي من وجوه عدة:

أولاً: أن التاريخ جزء أصيل من مكونات الهوية الوطنية، فهو ذاكرتها التي توثق منجزاتها، وسبيل تعزيز الفخر بها ، و" إن تعليم التاريخ يمكن ان يستخدم في تنشئة مواطنين مخلصين إذا كانت قصة الوطن . فعلاً . قصة يمكن للمواطن ان يفخر بها أو يمكن تعديلها واستغلالها بحيث تبعث على السمو" [10] ، وذلك دون ان يعني هذا " حجب الحقائق عن الدارسين أو تزويرها بحجة إظهار قوة وتقدم الوطن أو الأمة" [11] ، ولأن " اعطاء الوطنية مكاناً أعلى من مكانتها الحقيقية التاريخية يمكن ان يكون امراً قد تسمح به الفضيلة عند رسام أو حتى عند صحفي، ولكن هذا لا يجوز بالنسبة للمؤرخ" [12]

ثانياً: ان الاهتمام بالتاريخ يوفر نماذج القدوة من خلال أحداثه، فالاقتداء هو تمثل معاني الالتزام بالمبادئ، مما يزيد من مكانة الهوية في نفوس من يحملونها، والالتفاف حول تلك الرموز التي تعكس مديات الالتزام بالمبادئ الوطنية بأعلى صورها.

" تشتمل الأحداث التاريخية الماضية على شخصيات كان لها دور بارز وفعال في مسيرة التاريخ البشري، واتصفت كل شخصية بصفات وخصائص أخلاقية وإنسانية على جانب كبير من السمو والرفعة والنبل ، وهي صفات تمثل في مجموعها أساساً قوياً لتربية الناشئة والشباب.. وفي هذه الغاية من غايات تدريس التاريخ (أي اتخاذ القدوة) المطلوب أن نجعل من المعرفة التاريخية مصدراً نستقي منه القيم الخلقية والإنسانية، كي نغرسها في ناشئة الأمة وشبابها .."[13]

ثالثاً: التاريخ هو موطن المشتركات، والوطن هو عنوانها، فالنزوع إلى دراسة التاريخ لدى الأقوام والأمم، هو في احد أوجهه بحث عن العنصر الجامع، دون نكران لوجود نقاط ولحظات الاختلاف، وهو يمثل سبيلاً للالتقاء بين المكونات المختلفة داخل الوطن الواحد، ومن ثم الأمة الواحدة، فنحن "حينما نود ان نوظف تدريس التاريخ لفائدة التفاهم بين الشعوب، ينبغي ان ندرس تاريخ الشعوب الأخرى لنرى ما فيها من خبرات مشتركة، ومن ثم فالشعوب التي يتصف تاريخها بالنواحي الإيجابية البناءة لخير الإنسان، تستطيع أن تقيم تفاهماً فيما بينها في حياتها الحاضرة، ومن ثم تقل فرص التنافر والبغضاء التي تمثل ظاهرة في العلاقات الدولية" [14]

رابعاً: التاريخ طريق أساسي لوحدة الأوطان، فالأحداث الطويلة التي تمر على الأمم ، ولا سيما تلك التي تعاني من الأزمات الداخلية، تجد نفسها بعد وقت من انتهاء الصراع وقد خدشت وحدتها، وان ما تراكم من مشاهد سلبية ، ونزاعات معلنة وخفية، رسخ في الأذهان صعوبة الالتقاء، وهنا تتجلى أهمية اللجوء إلى التاريخ واقتباس منه ما يعزز الوحدة الوطنية، وينمّي المشاعر والوجدان بشكل ايجابي، ويتجاوز كل صورة الاختلاف، وهذه تتجلى حيناً في مواجهة عدو خارجي، وفي وقت الشدائد والصعوبات، او في رمز يوثق حياته التاريخ وتكون سيرته موطن التقاء وانبثاق لمعاني الولاء والانتماء.. الخ.

" ان من فوائد التاريخ انه من أهم مقومات الشخصية، حيث ان الفهم الصحيح لأحداث التاريخ يعين على بناء الشخصية السوية ووقايتها من الذوبان، ومن الأمراض النفسية التي تعترضها وتشل طاقتها، فكما أن الإنسان يحتاج إلى ذاكرة فهو يحتاج إلى تاريخ لأن التاريخ هو ذاكرته القومية، وعلماء

النفس يعلمون الاختلال الذي يطرأ على التوازن العقلي والنفسي إذا ما فقد المرء ذاكرته، فكما يمرض الفرد لفقد الذاكرة أو اضطرابها كذلك تمرض الشعوب لضياع تاريخها، وإذا تمعنا في عالم اليوم وفرزنا أمم العالم نجد اماماً لا تاريخ لها، ولذلك تشعر بالضياع وتعيش مرحلة صراع وعدم استقرار حيث لم تستفد الأجيال الحاضرة من خبرات الأجيال الماضية ولا تستطيع الأجيال الحالية أن تفاخر بمنجزات أجدادهم القدامى بينما نجد أمماً تتباهى بتاريخها الممتد لآلاف السنين وعشرات القرون مستفيدة من خبرات وتجارب الأجيال الماضية في البناء، ومن ثم لا تكرر في الغالب سلبيات الماضين وأخطاءهم وإنما تستفيد من إيجابياتهم"[15]

" إن ادراك الجماعات للعناصر المشتركة والتي تندرج في التاريخ المشترك لكل جماعة يؤدي إلى ولادة الإحساس بالهوية الجمعية ونموه، فالشعور بالهوية الجمعية ينطلق من ذكريات تتصل بالتجارب الانفعالية والوجدانية المشتركة. وما يحدث في إطار الجماعة يرتبط بأحداثها الماضية ... إذ يملك كل فرد في الجماعة وعيه الخاص وهو يؤثر في الحياة الجمعية الحاضرة من خلال الحياة الجمعية السابقة ... فالإعلام وقراءة المنشورات الخاصة بالتاريخ المشترك يطلق العنان لسلسلة من النشاطات والفعاليات ويعزز بنية الهوية الاجتماعية : بناء اتجاهات جديدة أو اتحادات واجتماعات ومؤتمرات .. الخ" [16]

ولو عدنا إلى الأزمان الماضية، وحتى قبل ان يتكمل بناء التاريخ باعتباره علماً له أصوله ومنهجه المستقل، لوجدنا ان الأمم المختلفة عمدت إليه وقد تجلى حينذاك في صورة (الماضي) المجرد، تلتمس من مضمونه أن يكون ميداناً يمنحها القوة، عبر صورٍ شتى تختلف من عصر لآخر، ومنهم عرب ما قبل الإسلام، والذين " لم يكونوا بعيدين عن التأريخ، وكل جماعة منهم كان لها طريقتها وبمقدار سويتها الحضارية تأريخها الخاص بعضه مدون او منقوش وبعضه شفهي. وهو تراث واسع من الكتابات والنقوش والأخبار العديدة جداً والمتفاوتة في الأهمية تفاوتها في الصحة والصدق" [17]، " واما الانساب فهي سلاسل أسماء تدعو لها الحاجة الاجتماعية القبلية للتعارف والتمايز. فإنها كالأعمدة تنسج من حولها بعض القصص الذي يحفظ تكوينها، هي في الواقع: التاريخ الانثروبولوجي التقليدي والهيكل العظيم للفكرة التاريخية" [18]

كما لو جئنا إلى التجربة الإسلامية الغنية في هذا المضمار، لوجدنا أنه ومع ظهور الدين القيم، تبلور التاريخ في أحد اوجه أهداف دراسته لتعزيز وشائج (الأمة) المسلمة، وحتى لما ظهرت (الشعوبية) في تاريخنا الإسلامي، وحاولت تشويه الهالة التي وضعها الدين الإسلامي من حول العرب بتشويه

تاريخهم، ادى ذلك لظهور ردود فعل لدى العرب لدراسة وتسجيل تاريخهم الخاص وأدبهم ، كما فعل الجاحظ والمسعودي، وكسب التاريخ في الحالين ثروة تاريخية هامة، فضلاً عما كسبه من رواج علمي ، وفي الحالات كافة فان توظيف التاريخ هنا بالاتجاهين السلبي والايجابي، كان استشعاراً لأهمية في اضعاف الهوية المجتمعية أو تقويتها" [19]

ومهما يكن من أمر، فإن تحديد درجة الموثوقية في المعارف التاريخية القديمة، السابقة واللاحقة، ليس هنا محله، والذي يكفينا ويتعلق بموضوعنا، ان الأمم والأقوام الممتدة على امتداد مسارات التاريخ السحيقة، إنما وجدوا بوعيهم الذاتي الحاجة إلى تثبيت أحداثهم، وانسابهم، تقوية لذاتهم، المجتمعية والقبلية، وذلك أمر مفهوم، ولا سيما في الأوقات المفصلية من حياة الأوطان والأمم، فبعد كل دورة زمنية في التاريخ تبرز حاجة المجتمعات لتأكيد ذاتها، أو مراجعة انتمائها. المجموعات البشرية تؤطر هذا الانتماء بملامح المشتركات الإنسانية فيما بينها، وتسمي هذا الانتماء بما يدل على الهوية، كمضمون المواطنة ومفهوم الهوية، والتي برزت ضمن اطر من الروابط والمصالح المشتركة، من الجغرافية، والتاريخ، والمصالح المشتركة، والتي هي من الروابط الأساسية وفي بعض الأحيان تعبر الهوية إلى أوسع من ذلك أو تتمحور على نطاق أضيق من ذلك، فالهوية القومية أو الهوية الدينية أو الهوية العرقية أو الهوية الطائفية، وهي نماذج للهوية الضيقة، ولكن هناك نموذج أوسع من ذلك عندما تكون الهوية جامعة لأكثر من قومية وأكثر من دين أو أكثر من عرق وأكثر من طائفة، وبهذا تتجاوز الهوية إطارها الضيق لتعبر عن المشترك الأوسع في الانتماء، وهي الهوية الوطنية التي تنتمي لجغرافية وتاريخ ومصالح مشتركة[20] .

أما ارتباط الهوية بالثقافة، وهو ما سنجده واضحاً في النموذج الذي نقف عنده، وهو رسالة في فضل الأندلس، فامر وثيق، ذلك انه " ترتبط الهوية بالثقافة، وتتجسد من خلال عناصرها، إذ تعرف هويات الشعوب من خلال ثقافتها وتجمع الهوية الثقافية بين كل ما يمكن عدّه عاملاً مشتركاً بين أفراد هذه المجموعة اولئك كالمثل والنظم والقيم والمعايير، وإن الانتماء لثقافة ما: يعبر بالانتساب لمعايير وقيم هذه الثقافة، أو تلك، إذ تعد الهوية عنصراً تتداخل فيه الثقافة، فلا هوية بدون ثقافة إذ تعد الروافد الثقافية من أبرز مقومات الهوية وعمود ثباتها التي تديم حيويتها وتغذيتها" [21]

إن ارتكاز الهوية . على مختلف أشكالها . على التاريخ، والثقافة، إنما هو ركون إلى جوهر المجتمعات التي تنتمي إليها، وهو ادراك لقيمتها داخلها، وبالتالي فهو اجراء أصيل، وسلوك ايجابي مفيد، ما دامت ترنو إلى بناء الأوطان لا هدمها ، أما الصور السلبية التي تنطوي عليها كل ذاكرة بشرية،

فهي مفيدة كذلك ولا غنى عنها، فإذا كانت الأولى مبعث (الاعتزاز) غدت الأخرى مبعث (الاعتبار) وكلاهما شرط لازم لأي تقدم ونهوض.

ثانياً: الفضائل وتعزيز الهوية الأندلسية

يلتمس الأفراد، وكذلك المجتمعات، السبل التي تزيد من حالة التلاحم، وتعزز هويتها، ومن ذلك حالة اللجوء إلى الافتخار بالمنجزات، وتعداد الفضائل، ليس من باب المباهاة(وهو امر متوفر في جزء منه دون شك) ولكن من باب اجتماع وإجماع الأفراد عليها، ولا سيما تلك الوقفات التي تحتل حضوراً وتأثيراً، وتأخذ حيزاً ملحوظاً في الذاكرة.

وفي الأندلس، فان التنوع العرقي والمجتمعي الذي شكل عامل ضعف في الكثير من الحقب التاريخية التي مرت عليها، شكل عامل قوة، يوم أخذت تتميز ثقافياً وحضارياً، وبدأت شخصيتها المستقلة تتكامل، وتنصهر الهويات المختلفة في بوتقة الهوية الحضارية، وضمن الهوية العربية والإسلامية الجامعة.

" ان تعدد الجماعات التي تكون منها المجتمع الأندلسي وتنوع الأصول الثقافية والاجتماعية، يظهر مدى تباين العناصر المكونة للثقافة بل للحضارة العربية الأندلسية، فهذا التنوع والتعدد شكل مصدر قوة وعمق لهذه الحضارة، إذ أسهمت كل جماعة في بناء هذه الحضارة من خلال نقل التراث الثقافي العربي من العربية إلى اللاتينية والعكس، وكتب التاريخ والأدب والفلسفة ملأى بأسماء الأندلسيين الذين أسهموا في الميادين العلمية كافة، وساعدهم على ذلك رحلاتهم بين الأندلس وشمال إفريقيا ومن ثم المشرق العربي، وكذلك بين الأندلس وبقية الدول الأوربية، وهذا يتضمن ردأ على الذين يتناولون الحضارة العربية الأندلسية في أنها تفتقر إلى الأصالة، وأنها مجرد صور للحضارة العربية في المشرق. لا شك أن للمشرق العربي أهمية كبرى في الحضارة العربية الأندلسية ولا سيما في القرون الأولى ، ولكن فيما بعد اضحت هذه الحضارة متميزة، وظهر فيها الاستقلال والتجديد والإبداع في كثير من فنون الشعر والزجل، وكذلك في الفلسفة وغيرها من ضروب المعرفة" [22].

وهو امر يتأكد من وعي الأندلسيين بأهميتهم بالنسبة لهويتهم الثقافية الجماعية، ومن خلال رسالة ابن حزم الأندلسي [23] ومن تابعه ، والتي سنأتي على تناولها في هذا القسم من البحث، وذلك لم يتحقق إلا بعد وقت تكاملت فيه هذه الهوية، فمن" المعروف أن الحضارة الأندلسية لم تنشأ فجأة، بل

مرت في أدوار مختلفة، وخضعت لمؤثرات حضارية مشرقية تربطها بالوطن الأم باعتبارها جزءاً منه، كما خضعت أيضاً لمؤثرات حضارية محلية بحكم البيئة التي نشأت فيها [24]

وان تلك الهوية " عانت في نشوئها من ضبابية المشهد، والسبب هو تبعيتها للمشرق، فأرادت أن تكوّن هوية ثقافية مستقلة بذاتها، من خلال البحث عن صورة واضحة المعالم لتلك الهوية، فأرادت أن يكون لها موضع قدم في ساحة الهويات" [25]

ولو جئنا إلى رسالة ابن حزم الأندلسي ت 456 هـ / 1064م، فإنه كتبها " دفاعاً عن (الأندلس) في مواجهة المشارقة، وقد كان السبب المباشر في كتابتها. كما حكى لنا . أن ابن الربيب الحسن بن محمد القيرواني . المواطن . قد أرسل رسالة إلى أبي المغيرة عبد الوهاب ابن عم ابن حزم، يعيب فيها على أهل الأندلس تقصيرهم في تخليد علمائهم ومآثر فضائلهم ، وقد اتخذ ابن حزم الأساس الفكري وسيلة للتفضيل، دون ان ينسى أن يضيف إلى ذلك خصائص قرطبة، وما قدمته الأندلس . بعامة . من نتاج علمي، فالرسالة بهذا جزء من التاريخ الحضاري للأندلس، وقد كانت رائدة في الأندلس لفن المفاخرات، وهو فن أبرزه شعور الأندلسيين بالحب لوطنهم الذي تحيط به المشكلات من اكثر من جهة، وعلى خطى رسالة ابن حزم هذه جاءت رسالة ابن سعيد الأندلسي، والتي تمثل تذييلاً لرسالة ابن حزم، ثم اتت بعدها بقرنين رسالة اسماعيل بن محمد الشقندي المتوفى سنة 629 هـ، فكانت تطوراً جديداً في هذا الفن التاريخي" [26]

والملاحظ من خلال قراءة الرسالة، انها " كشفت عن مدى التأثير الذي اوقعته رسالة الحسن بن محمد الربيب المقللة من شأن أندلس ابن حزم، وعن سرعة ردة الفعل لدى ابن حزم، ما أدى به إلى كتابة هذه الرسالة التي ظهرت فيها البنية الفاعلية في اللغة وبجلاء، وذلك في المستويين: التركيبي والخطابي" [27] ، فقد "اثارت تلك الرسالة حمية الروح والعصبية الأندلسيتين في نفس ابن حزم، وهو ما دفعه لكتابة هذه الرسالة مفتخراً بفضل الأندلس وبسمعة علمائها، ولا سيما علماء مدينة قرطبة" [28]

ومهما اختلفت دوافع كتابة الرسالة وأسبابها، فإنها تبقى رسالة تشير أبعادها التأويلية إلى فضل الأندلس ومجدها المتوج باهلها وعلمائها، وبإنتاجهم الذي اتحفوا به حضارة العرب والمسلمين ...يبدو أن رسالة ابن حزم شقيقة لرسالة الشقندي في المضمون والمسوغ، وإن اختلفتا في الشكل والصياغة، فقد جاءت رسالة الشقندي بعد رسالة ابن حزم موسومة بالعنوان ذاته، إذ كان سببها أيضاً ينبع من

التعصب للأندلس، بيئة وعلماً ورفعة، فظاهرة الدفاع عن مكانة الأندلس وتفضيلها جاءت تعبيراً عن حس الأندلسي وتحمله لمسؤولية الدفاع فكراً عن موطنه [29]

ولو توقفنا عند بعض الدلالات المتعلقة برسالة ابن حزم، وحتى من تابعه، لوجدنا ان النقطة الأبرز والتي المح لها الدارسون، تكمن في اعتماد الفكر ركناً أساسياً في المفاضلة، وهذا النتاج الفكري (القائم على أساس استحضار الذاكرة) إنما هو شكل من أشكال الفعل التاريخي.

وبالتالي، يمكننا القول هنا ان قيمة الرسائل تلك فيما يخص موضوعنا إنما يكمن في النجاح باللجوء إلى متابعة واستقصاء نموذج المفاضلة، والذي يمكن ان يسهم في رد الانتقاد من جهة، وتحقيق الفخر بالهوية الثقافية الوطنية من جهة أخرى.

ان قراءة متأنية لهذا النتاج المعرفي المهم يبين لنا الآتي:

1. العنوان "رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها" [30] يعكس منهج العمل، فإذا كان انتقاد الآخرين قد الهب مشاعر ابن حزم، والانتصار لصالح (أندلسيته)، فإنه حقق ذلك من خلال إبراز (الفضل) أي التمايز على الغير، وهذا التمايز (الحضاري الفكري في منهجه) يزيد من تمسك أهل الأندلس بهويتهم.

2. وظف ابن حزم النص الديني لصالح فكرته، واستدعى الذاكرة المعززة لموقفه، فيقول:
" وأنا أقول لو لم يكن لأندلسنا إلا ما رسول الله صلى الله عليه وسلم بشَّر به، ووصف أسلافنا المجاهدين فيه، بصفات الملوك على الأسرة" [31]

3. الأرض الأندلسية . في نظر ابن حزم . والاقامة عليها هو معيار حمل عنوانها وهويتها، فيقول:
"أن جميع المؤرخين من أئمتنا السالفين والباقين، دون محاشاة أحد، بل قد تيقنا إجماعهم على ذلك، متفقون على أن ينسبوا الرجل إلى مكان هجرته التي استقر بها، ولم يرحل عنها رحيل ترك لسكناها إلى أن مات... فمن هاجر إلينا من سائر البلاد، فنحن أحقُّ به، وهو منا بحكم جميع أولي الأمر منا، الذين إجماعهم فرض اتباعه، وخلافه محرم اقترافه، ومن هاجر منا إلى غيرنا فلا حظٌ لنا فيه، والمكان الذي اختاره أسعد به... وعلى ما ذكرنا من الإنصاف تراضى الكل" [32]

4. يؤكد ان حالة الانتقاد التي تحققت بسبب بالحسد من بلده " فإنها خُصت من حسد أهلها للعالم الظاهر فيهم، الماهر منهم، واستقلالهم، كثير ما يأتي به، واستهجانهم حسناته، وتتبعهم سقطاته وعثراته، وأكثر ذلك مدة حياته، بأضعاف ما في سائر البلاد. إن أجاد قالوا: سارقٌ مغير، ومنتحل مدع، وإن توسط قالوا: غثٌ بارد وضعيف ساقط، وإن باكر الحيازة لقصب السبق قالوا: متى كان هذا ومتى تعلم وفي أي زمان قرأ ولأمه الهَبَل. وبعد ذلك إن ولجت به الأقدار أحد طريقين إما شفوفاً بائناً يعليه على نظرائه، أو سلوكاً في غير السبيل التي عهدوها، فهنالك حمي الوطيس على البائس، وصار غرضاً للأقوال، وهدفاً للمطالب، ونصباً للتسبب إليه، ونهباً للألسنة، وعرضةً للتطرق إلى عرضه، وربما نحل ما لم يقل، وطوق ما لم يتقلد، وألحق به ما لم يفه به ولا اعتقده قلبه، وبالحرى، وهو السابق المبرز إن لم يتعلق من السلطان بحظ، أن يسلم من المتالف، وينجو من المخالف. فإن تعرض لتأليف غمز ولمز، وتعرض وهمز، واشتط عليه، وعظم يسير خطبه، واستشنع هين سقطه، وذهبت محاسنه، وسترت فضائله، وهتف ونودي بما أغفل، فتنكس لذلك همته، وتكل نفسه وتبرد حميته، وهكذا عندنا نصيب من ابتدأ يحوك شعراً، أو يعمل رسالة، فإنه لا يفلت من هذه الحبائل، ولا يتخلص من هذا النصب، إلا الناهض الفائت، والمطفف المستولي على الأمد" [33]

5. يلاحظ على نمط كتابة ابن حزم عبارات الفخر والاعتزاز (وهو امر يؤسس للاعتزاز اكبر بالهوية الاندلسية) من امثال : " وألفت عندنا تآليف في غاية الحسن، لنا خطر السبق في بعضها... وفي تفسير القرآن: كتاب أبي عبد الرحمن بقي بن مخلد ؛ فهو الكتاب الذي أقطع قطعاً لا أستثني فيه انه لم يؤلف في الإسلام تفسير مثله، ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره" [34]

وقوله: " ولصاحبنا أبي عمر ابن عبد البر المذكور كتب لا مثل لها... ومنها كتابه في الصحابة سماه كتاب الاستيعاب في أسماء المذكورين في الروايات والسير والمصنفات من الصحابة رضي الله عنهم والتعريف بهم وتلخيص أحوالهم ومنازلهم وعيون أخبارهم على حروف المعجم، اثنا عشر جزءاً ليس لأحد من المتقدمين مثله، على كثرة ما صنفوا في ذلك " [35]

وقوله: " منها كتاب المنتخب الذي ألفه القاضي محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة، وما رأيت لمالكي قط كتاباً أنبل منه في جمع روايات المذهب وتأليفها وشرح مستغلقها، وتفريع وجوهها" [36]، و"كتاب لأحمد بن محمد بن موسى في أنساب مشاهير أهل الأندلس، في خمسة أسفار ضخمة من أحسن كتابٍ في الأنساب وأوسعها" [37]

و"كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف لأبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي، وقد أدركناه وشاهدناه، ولئن قلنا إنه لم يؤلف في الطب أجمع منه ولا أحسن للقول والعمل في الطبائع، لنصدقن" (38)

6. لئن اعتمد ابن حزم . كما أشار أحد الدارسين في أعلاه . على الأساس الفكري . بالعموم . فإنه خصصه بما يستحق الإشادة، وهي التفاتة ذكية ومهمة، فيقول بخصوص العلوم التي حاول تتبع البارزين فيها:" إنما ذكرنا التآليف المستحقة للذكر، والتي تدخل تحت الأقسام السبعة التي لا يؤلف عاقل إلا في أحدها، وهي إما شيء لم يسبق إليه يخترعه، أو شيء ناقص يتمه، أو شيء مستغلق يشرحه، أو شيء طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه، أو شيء متفرق يجمعه أو شيء مختلط يرتبه، أو شيء أخطأ فيه مؤلفه يصلحه" (39)

7. وظف ابن حزم اسلوبه لخدمة مقصده، فقد "جاءت الرسالة بصيغة المسرود المباشر المنقول، وعلى لسان راوٍ يعلم باكتمال كل ما يود ان يصوغه متنقلاً بانتظام وتتابع زمني غير مشتت ، إذ يضع السارد في مبنى رسالته هذه معرفته الكلية بالأندلس، مبرزاً صوته المتسيد" (40)

8. عمد ابن حزم على ترسيخ الهوية الجماعية، وكانه ناطق بلسان بلده " ففي كل فقرة يستخدم ابن حزم صيغاً لغوية محددة يستفتح بها وخلالها المقطع السردي.. ومن هذه الصيغ التي استخدمها السارد في افتتاحيته السردية: (نا) الجمعية: فيقول (علينا/ ضمنا المجلس الحافل/ مآثر بلدنا/ اما جهتنا/ لنا على مذهبنا/ ومنا/ ونحن إذ ذكرنا) إذ طغت مع (نا) الجمع (الأنا) الذات التي يراد منها الأندلس، إذ شكلت لابن حزم (انا) أخرى" (41)

9. ان ابن حزم كان عارفاً هدفه، ولم يتوسع في كتابه حتى لا يخرج عن مراده، لذا كان ختام رسالته قوله: " وقد انتهى ما اقتضاه خطاب الكاتب رحمه الله تعالى من البيان، ولم نتزيد فيما رغب فيه إلا ما دعت الضرورة إلى ذكره لتعلقه بجوابه" (42)

ولو انتقلنا إلى كتاب نفح الطيب للمقري التلمساني (ت 1041 هـ / 1631 م)، والذي نقل رسالة ابن حزم، وما اكمله ابن سعيد، والشقندي، ضمن المجموع الذي عرف بعنوان (فضائل الأندلس وأهلها) ، لوجدنا جوانب مهمة تفيدنا في دعم نظرية توظيف التاريخ في ترسيخ وتقوية الهوية، والملفت

أن المقري وهو يدون على امتداد كتابه نجد يساير المؤلفين الثلاثة في اسلبوهم القائم على التفضل، والاعتزاز بالانتماء:

ويبدو العنوان الذي وضعه المقري لوحده كافياً ، إذ جاء على النحو الآتي: " الباب السابع: في نبذة مما منّ الله تعالى به على أهل الأندلس من توقد الأذهان، وبذلهم في اكتساب المعارف والمعالي ما عز أوهان وحوزهم في ميدان البراعة، من قصب البراعة، خصل الرهان، وجملة من أجوبتهم، الدالة على لوذعيتهم، وأوصافهم المؤذنة بألمعيتهم، وغير ذلك من أحوالهم التي لها على فضلهم أوضح برهان" (43)

ويبتدئ النقل من كتاب فرحة الأنفس، وهو نص فريد، يكشف لنا كيف ان مؤلفه...عدد الهويات التي جمعت كلها فيما بعد في الأندلس، وان تخصيص الهوية الأندلسية، وتبيان التمايز بين الهوية المشرقية والمغربية الأندلسية كانت يلقي بظلاله المستمر على الكاتب وهو يدون، ولنقرأ:

"اعلم أن فضل أهل الأندلس ظاهر، كما أن حسن بلادهم باهر... وأهل الأندلس عرب في الأنساب والعزة الأنفة وعلو الهمم وفصاحة الألسن وطيب النفوس وإباء الضيم وقلة احتمال الذل والسماحة بما في أيديهم والنزاهة عن الخضوع وإتيان الدنية، هنديون في إفراط عنايتهم بالعلوم وحبهم فيها وضبطهم لها وروايتهم، بغداديون في ظرفهم ونظافتهم ورقة أخلاقهم ونباهتهم وذكائهم وحسن نظرهم وجودة قرائحهم ولطافة أذهانهم وحدة أفكارهم ونفوذ خواطرهم، يونانيون في استنباطهم للمياه ومعاناتهم لضروب الغراسات واختيارهم لأجناس الفواكه وتدبيرهم لتركيب الشجر وتحسينهم للبساتين بأنواع الخضر وصنوف الزهر، فهم أحكم الناس لأسباب الفلاحة... وهم أصبر الناس على مطاولة التعب في تجويد الأعمال ومقاساة النصب في تحسين الصنائع أحذق الناس بالفروسية، وأبصرهم بالطعن والضرب" (44)

وإذا كانت الرسائل الثلاث متشابهات في منحاها القائم على سرد أسماء العلماء ومؤلفاتهم . مع اختلاف دون شك وخصوصية لكل واحد منهم، فإن هناك ما يمكن تلمسه مع الرسالتين الأخيرتين ، ومنها:

فإن نحو صدر كلام ابن غالب السابق مذكورٌ في رسالة لابن حزم، وقال فيها: إن أهل الأندلس صينيون في إتقان الصنائع العملية وإحكام المهن الصورية، تركيون في معاناة الحروب ومعالجة آلاتها والنظر في مهماتها (45)

ويمايز ابن سعيد، بين تعداد الفضائل وبين التعصب، وهو عين ما ذكرناه من شروط لازمة واجبة للتعامل مع هذا الباب من التاريخ، فيقول لما ذكر جملة من محاسن الأندلسيين: "يعلم الله تعالى أني ما أقصد إلا إنصاف المنصفين الذين لا يميل بهم التعصب، ولا يجمح بهم الهوى، ولكن الحق أحق أن يتبع" (46)

ويعبر الشقندي هو الآخر عن مدى الفخر بالانتماء الأندلس، فيقول: " الحمد لله الذي جعل لمن يفخر بجزيرة الأندلس، أن يتكلم ملء فيه، ويطنب ما شاء فلا يجد من يعترض عليه ولا من يثنيه، إذ لا يقال للنهار: يا مظلم، ولا لوجه النعيم: يا قبيح...أما بعد؛ فإنه حرك مني ساكناً، وملأ مني فارغاً، فخرجت عن سجيتي في الإغضاء، مكرهاً إلى الحمية والإباء، منازعٌ في فضل الأندلس أراد أن يخرق الإجماع، ويأتي بما لا تقبله النواظر والأسماع، إذ من رأى ومن سمع لا يجوز عنده ذلك، ولا يضله من تاه في تلك المسالك، رام أن يفضل بر العدوة على بر الأندلس فرام أن يفضل على اليمين اليسار، ويقول: الليل أضوأ من النهار، فيا عجبا كيف قابل العوالي بالزجاج، وصادم الصفاة بالزجاج، فيا من نفخ في غير ضرم، ورام صيد البزاة بالرخم، كيف تتكثر بما جعله الله قليلاً، وتتعزز بما حكم الله أن يكون ذليلاً وكيف تبدي أمام الفتاة العجوز سل العيون إلى وجه من تميل واستخبر الأسماع إلى حديث من تصغي" (47)

وبين ما كتبه ابن حزم واضاف إليه الشقندي، واتمه ابن سعيد، تشابه في المضمون، مما لا يحتاج مزيد إيراد واستشهاد، وهنا يمكننا القول إن ان قيمة ما كتبوه لا يكمن بمدى الاحصاء الذي أتوا عليه، وكان في نظر البعض وافياً أو قاصراً على الاحاطة بأخبار البلاد، ومن وثقوا ومن اغفلوا، ولكن بما مثلته من توظيف المنتج الحضاري وتدعيمه ليكون أساساً لازماً لتعزيز وترسيخ الهوية الأندلسية الثقافية التي علت على الانتماءات العرقية ، فهذه النماذج التي يذكر متنوعة الانتماءات ، والولاءات، ولكن يجمعها الوطن الأندلسي، بمعنى الانتقال من الانتماء الضيق لتعبر عن المشترك الأوسع في الانتماء، وهي الهوية الوطنية الجامعة.

لقد عاش ابن حزم في عصر فيّاض بالاضطرابات والأحداث المثيرة هو عصر انحلال الخلافة الأندلسية، وقياد دول الطوائف . كما نعلم . وقد شهد ابن حزم عن كثب . وبحكم طبقته الاجتماعية

والسياسية . الكثير من أحوال هذا العصر وتقلباته. ومن تصرفات أمراء الطوائف ومثالبهم ، وبغيهم، واستهتارهم وقد هزت هذه الأحداث مشاعره إلى الأعماق. ويضاف إلى هذا . أن ابن حزم أندلسي الولاء، يدين لهذه الامة الأندلسية، العربية بمشاعره وعواطفه .. وبالتالي فإن ما آل إليه أمر الأندلس قد هزه هزاً عنيفاً، فدفعته الاستجابة للتحدي إلى ان يقف مدافعاً عن (اسلامية الأندلس) وعن (عروبتها) وعن (شخصيتها وتاريخها) [48]

الخاتمة

رأينا في الصفحات السابقة، كيف أن التاريخ يمثل جزء أصيل من أجزاء ومكونات الهوية، مثلما أنه درب لتعزيزها، وسبيل لتقويتها في نفوس أبنائها.

وظهر لنا كيف ان الماضي بكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني عميقة، يمكن له أن يدرج في مقدمة أي مشروع نهضة لأي بلد وأي وطن، ودون مبالغة، فهو ذاكرتها وركن انبعاثها الجديد.

وهكذا كان يوم شعر ابن حزم الأندلسي ومن معه من علماء تلك الديار، كيف أن الآخرين ينظرون إليهم نظرة مقلل في المكانة، والجهد، فانبروا ليردوا عليهم، جاعلين من مخزونهم الثقافي، والانجاز الحضاري، سداً منيعاً، ومادة غنية، تملأ النفس بمعنى الفخر، وتغذي بالاعتزاز الوجدان.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأولية

ابن بسام الشنتريني، ابو الحسن علي، (ت 542 هـ / 1147 م)

- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ، 1997.

ابن حزم الأندلسي ، أبو محمد علي بن احمد بن سعيد (ت 456 هـ / 1063 م)

- رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق احسان عباس، ط2، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1987.

المقري، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى التلمساني (ت 1041هـ / 1631م)

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، 1988.

* * *

ثانياً: المراجع الثانوية

ابو زهرة، محمد

- ابن حزم حياته وعصره آراؤه وفقه، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت

ابن سليمان، فريد

- مدخل إلى دراسة التاريخ، تونس، مركز النشر الجامعي، 2000.

بن عبود، امحمد

- جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، تطوان، مطبعة النور، 1987.

جوتشلك، لويس

- كيف نفهم التاريخ، ترجمة عائدة سليمان عارف، أحمد مصطفى أبو حاكمة، بيروت، دار الكاتب العربي، 1966.

حسين، محسن محمد

- طبيعة المعرفة التاريخية وفلسفة التاريخ، أربيل ، مؤسسة موكرياني، 2012

خضر، عبد العليم

- المسلمون واعادة كتابة التاريخ، واشنطن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1995.

السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون

- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2000.

الشيخ، رأفت

- تفسير مسار التاريخ، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، 2000.

علي، السر الختم عثمان

- اصول تدريس التاريخ، القاهرة، دار الشواف، 1992.

عويس، عبد الحليم

- ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، ط3، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، 1988.
-

غولدمان، لوسيان

- العلوم الإنسانية والفلسفة، ترجمة يوسف الأنطكي، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 1996.

مصطفى، شاكر

- التاريخ العربي والمؤرخون ، ط3، بيروت، دار العلم للملايين، 1983.

ميكشيللي ، اليكس

- الهوية، ترجمة علي وطفة، دمشق، دار الوسيم، 1993.

***

ثالثاً: الدوريات

جميل، جنان قحطان

- الإمام ابن حزم الأندلسي مؤرخاً، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، العدد 4 مج 3، كانون الاول 2018.

دياب، علي

- في الحضارة العربية الأندلسية، مجلة التراث العربي ، دمشق ، العدد (144 . 145) ، 2017.

رزيج، ستار جبار، خضر، قاسم أحمد

- الهوية الثقافية الأندلسية " النشأة والتحول" كتاب نفح الطيب للمقري(ت1041 هـ)، مجلة أوروك، العدد 2، م 12، 2019.

قبيلات، نزار مسند وآخرون

- رسالة ابن حزم في فضائل الأندلس وذكر رجالها دراسة تأصيلية نصية، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد 9، العدد 8، آب، 2013.

مهدي، حبيب صالح

- دراسة في مفهوم الهوية، مركز الدراسات الإقليمية، دراسات إقليمية 5، 2009.

الهوامش

(1) ميكشيللي، اليكس الهوية، ترجمة علي وطفة، (دمشق: دار الوسيم، 1993)،ص 19.
(2)ميكشيللي، الهوية، ص 22 - 23
(3)خضر، عبد العليم ، المسلمون واعادة كتابة التاريخ، (واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1995)، ص 63
(4)حسين، محسن ، طبيعة المعرفة التاريخية وفلسفة التاريخ، (أربيل: مؤسسة موكرياني، 2012) ص 10.
(5)غولدمان، لوسيان، العلوم الإنسانية والفلسفة، ترجمة يوسف الأنطكي، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 1996)، ص 49
(6)المرجع نفسه، ص 52.
(7)الشيخ، رأفت، تفسير مسار التاريخ، (القاهرة: عين للدراسات والبحوث، 2000)، ص 14
(8)المرجع نفسه، ص 19
(9)ميكشيللي ، الهوية، ص 76 - 77.
(10)جوتشلك، لويس، كيف نفهم التاريخ، ترجمة عائدة سليمان عارف، أحمد مصطفى أبو حاكمة، (بيروت: دار الكاتب العربي، 1966)، ص15.
(11)الشيخ، تفسير مسار التاريخ، ص 20.
(12)جوتشلك، المرجع السابق، ص 17 - 18.
(13)علي، السر الختم عثمان، اصول تدريس التاريخ (القاهرة: دار الشواف، 1992)، ص 27.
(14)المرجع نفسه، ص 37.
(15)الشيخ، تفسير مسار التاريخ، ص 15؛ وفي المعنى ذاته يراجع: ابن سليمان، فريد، مدخل إلى دراسة التاريخ، (تونس: مركز النشر الجامعي، 2000)،ص 24 - 25.
(16)ميكشيللي، الهوية، ص 80- 81.
(17)مصطفى، شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ط3، (بيروت: دار العلم للملايين، 1983)،ص52
(18)المرجع نفسه، ص 55.
(19)مصطفى ، التاريخ العربي، ص 57 - 69.
(20)مهدي، حبيب صالح، دراسة في مفهوم الهوية، مركز الدراسات الإقليمية، دراسات إقليمية 5، 2009، ص 13.
(21)رزيج، ستار جبار، خضر، قاسم أحمد، الهوية الثقافية الأندلسية " النشأة والتحول" كتاب نفح الطيب للمقري(ت1041 هـ)، مجلة أوروك، العدد 2، م 12، 2019، ص 1196.
(22)علي دياب، في الحضارة العربية الأندلسية، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد(144 - 145)، 2017.
(23)امحمد بن عبود، الحضارة الأندلسية بين الخصوصية والتراث الإنساني.
24(24)السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2000، ص 316
(25)رزيج، الهوية الثقافية الأندلسية، ص 1196.
(26)عبد الحليم عويس، ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، ط3، (القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، 1988)، ص 238 - 239؛ وللمزيد بخصوص ظروف كتابة رسالة ابن حزم الأندلسي، يراجع: ابن حزم الأندلسي (ت 456 هـ / 1064م)، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق احسان عباس، ط2(بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1987)، جـ 2، مقدمة المحقق، ص 35 - 38
(27)نزار مسند قبيلات، وآخرون، رسالة ابن حزم في فضائل الأندلس وذكر رجالها دراسة تأصيلية نصية، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد 9، العدد 8 ، آب ، 2013، ص 56.
(28)المرجع نفسه، ص 58؛ ويراجع كذلك: فضائل الأندلس وأهلها ، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، 1968، من المقدمة ، نقلاً عن قبيلات، ص 56

[29]المرجع نفسه، ص 58 - 59؛ والحكم على هذا المنحى بالتعصب أو التفاخر ليس هنا محله، فنحن يهمنا كيفية الركون إلى التاريخ والنتاج الفكري لتعزيز الهوية.

[30]هذا هو اسم الرسالة كما ورد في فهرسة ابن خير: 226، ابن حزم الأندلسي، الرسائل، جـ 2، ص 173 - 174(تعليق المحقق).

[31]ابن حزم الأندلسي، الرسائل، جـ 2ص 173 - 174؛ ونص كلام ابن حزم الآتي: في الحديث الذي رويناه من طريق أبي حمزة أنس بن مالك أن خالته أم حرام بنت ملحان، زوج أبي الوليد عبادة ابن الصامت، رضي الله تعالى عنه وعنهم أجمعين، حدثته به= =عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أخبرها بذلك لكفى شرفاً بذلك ، يَسُرُّ عاجله ويغبط آجله. فإن قال قائل: لعله صلوات الله تعالى عليه إنما عنى بذلك الحديث أهل صقلية وإقريطش، وما الدليل على ما ادعيته من أنه صلى الله عليه وسلم عنى الأندلس حتماً، ومثل هذا من التأويل لا يتساهل فيه ذو ورع دون برهان واضح وبيان لائح، لا يحتمل التوجيه، ولا يقبل التجريح. فالجواب، وبالله التوفيق، أنه صلى الله عليه وسلم قد أوتي جوامع الكلم وفصل الخطاب، وأمر بالبيان لما أوحي إليه، وقد أخبر في ذلك الحديث المتصل سنده بالعدول عن العدول بطائفتين من أمته يركبون ثبج البحر غزاةً واحدة بعد واحدة، فسألته أم حرام أن يدعو ربه تعالى أن يجعلها منهم، فأخبرها صلى الله عليه وسلم، وخبرة الحق، بأنها من الأولين، وهذا من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم، وهو إخباره بالشيء قبل كونه، وصح البرهان على رسالته بذلك، وكانت من الغزاة إلى قبرس، وخرَّتْ عن بغلتها هناك، فتوفيت رحمها الله تعالى، وهي أول غزاةٍ ركب فيها المسلمون البحر، فثبت يقيناً أن الغزاة إلى قبرس هم الأولون الذين بشر بهم النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت أم حرام منهم، كما أخبرت صلوات الله تعالى وسلامه عليه، ولا سبيل أن يظن به، وقد أوتي ما أوتي من البلاغة والبيان، أنّه يذكر طائفتين قد سمى إحداهما أولى، إلا والتالية لها ثانية، فهذا من باب الإضافة وتركيب العدد، وهذا مقتضى طبيعة صناعة المنطق، إذ لا تكون الأولى أولى إلا لثانية، ولا الثانية ثانية إلا لأولى، فلا سبيل إلى ذكر ثالث بعد ثان ضرورة، وهو صلى الله عليه وسلم إنما ذكر طائفتين، وبشر بفئتين، وسمّى إحداهما الأولين، فاقتضى ذلك بالقضاء الصدق آخرين، والآخر من الأول هو الثاني الذي أخبر صلى الله عليه وسلم أنه خير القرون بعد قرنه، وأول القرون بكل فضل بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه خير من كل قرن بعده. ثم ركب البحر بعد ذلك أيام سليمان بن عبد الملك إلى القسطنطينية، وكان الأمير بها في تلك السفن هبيرة الفزاري، وأما صقلية فإنها فتحت صدر أيام الأغالبة سنة 212، أيام قاد إليها السفن غازياً أسد بن الفرات القاضي صاحب أبي يوسف رحمه الله تعالى، وبها مات، وأما إقريطش فإنها فُتحت بعد الثلاث والمائتين، افتتحها أبو حفص عمر بن شعيب، المعروف بابن الغليظ ، من أهل قرية بطروج ، من عمل فحص البلوط، المجاور لقرطبة من بلاد الأندلس، وكان من فلّ الربضيين، وتداولها بنوه بعده إلى أن كان آخرهم عبد العزيز بن شعيب الذي غنمها في ايامه أرمانوس بن قسطنطين ملك الروم سنة 350، وكان أكثر المفتتحين لها أهل الأندلس

[32]ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي ، جـ 2، ص 175 - 176

[33]ابن حزم، الرسائل، جـ 2،ص 177 - 178.

[34]المصدر نفسه، ص 178.

[35]المصدر نفسه، ص 180.

[36]المصدر نفسه، ص181.

[37]المصدر نفسه، ص 184.

[38]المصدر نفسه،ص185.

[39]المصدر نفسه، ص 186؛ وهذه العلوم هي: علوم الشريعة (الفقه والتفسير والدراسات القرآنية جملة والحديث) - اللغة - الشعر - الأخبار (التاريخ) - الطب - الفلسفة - العدد والهندسة

[40]قبيلات، رسالة ابن حزم، ص 61

[41]قبيلات، رسالة ابن حزم، ص 62

[42]ابن حزم الأندلسي، الرسائل، جـ 2، ص 188.

[43]المقري، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى التلمساني(ت 1041هـ / 1631م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس ، بيروت، دار صادر، 1988، جـ 3، ص 150

[44]المصدر نفسه، ص 150 - 151.

(45)المصدر نفسه، ص 151.

(46)المصدر نفسه، ص 152.

(47)المصدر نفسه، ص 187.

(48)عويس، ابن حزم الأندلسي، ص 242 .